الشعر الحر الجزائري(تطبيق)

إن العمل الإبداعي ضرب من الفن والجمال والابتكار ، ذلك أن الفن هو " الفعالية الإنسانية، التي تستهدف الجمال وإبداعه، ذلك بالوسائل والطرق ، التي يتخذها الإنسان وسيلة ومادة للتعبير الجميل ، فنجد أن المبدع أو الفنان ومن أجل تحقيق تميزه الفني فإنه يعتمد على مجموعة من الوسائل والأدوات التشكيلية المتطورة والجديدة التي تساعده على التميز، وهو ما لا يخرج عنه الشاعر أثناء تأليف قصيدة ما ، إذ " لا يكفي أن تكون مجرد كلمات ، ولا مجرد معان أو أفكار، ولكنها وإن انطوت على كل هذه الأشياء . لا بد أن تخضع لإيقاع ووزن معين.", لذا فالفنية إضافة جمالية في العمل الأدبي ومسألة التجديد في الشعر، كما سبق وأن ذكرنا . فإنها وليدة العمل الفني الجمالي، خاصة من خلال المظاهر الفنية المبتكرة التي تحققها، وقصيدة "طريقي" تنتمي إلى النمط الشعري الجديد "الشعر الحر" ، وتتكون من سبعة مقاطع شعرية ، ونجد أن صاحبها قد شكلها وفق تشكيل فني جديد في رؤيته وأخيلته وموسيقاه، ليلخص من خلاله شعرية التجديد الشعري ومدى مقدرة الشاعر على كسر كل القيود والتحرر منها، وهذا نموذج من القصيدة :

يا رفيقي

لا تلمني في شروقي

فقد اخترت طريقي!

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصف التيار وحشي النضال

صاخب الأنات عربيد الخيال

كل ما فيه جراحات تسيل

وظلام وشكاوي و وخول

تترا اى كطيوف

في طريقي

يا رفيقي ! ***

ألمح الأطياف من حولي شوادي

رؤى السكري، لآلاف العباد

للربيع الخلو شوقاً للزهور

للهوى الزاخر بالذكرى وأنسام العطور

غير أبي كلما حاولت وصلاً

لم أجد قربي ظلاً غير أعقاب الشموع

و غديرات الدموع

تتوالى في طريقي

يا رفيقي

****

لستُ أنسى حين ظلوات المشاعل

واحتضنت النور غصبا في المجاهل

وعبرت الليل نازا وشراك

وتصفحت الوجود

فإذا هو إله وعبيد

وخضم من دماء وضفاف للعراك

وسياط هاويات

و جسوم داميات

ناهدات في طريقي

يا رفيقي !

وفي ما هو آت سنحاول رصد ملامح التجديد الفني في قصيدة **"طريقي"** لأبي القاسم سعد الله.

1- تجديد اللغة في قصيدة طريقي :

إن **اللغة الشعرية** في قصيدة **"طريقي"** أظهرت سماتها التجديدية انطلاقا من العنوان ، الذي يحيلنا على دلالات متباينة وملامح كثيرة ؛ تجمع بين الدال " الطريق" التي لها علامة دلالات عدة كالطريق المستقيم، طريق النور ، طريق الاستقرار والأمل ، أو طريق الضياع، طريق الغربة، طريق الظلام ..... إلخ

فكلها طرق تتبدى في حياة الشاعر.

وبعد تتبع لغة القصيدة نجد أنها من حيث الحقل الفكري ثلاث حقول ؛

أ- **<u>حقل الغربة والضياع</u>** : وعلى حد تعبير "عمر بوقرورة" "يعد أبو القاسم سعد الله الشاعر النموذجي في هذا المجال إذ استطاع من خلال البحث عن الذات أن يعبر عن تجربة الغربة الروحية والفكرية ، فقد عانى الغربة والضياع، نتيجة عوامل أساسية في حياته الأدبية والفكرية "، واللغة في قصيدة طريقي تجسد جانبا من هذه التجربة، ومن مظاهر هذه الغربة قوله : **" يا رفيقي لا تلمني في مروفي فقد اخترت طريقي! وطريقي كالحياة شانك الأهداف مجهول السمات" .**

ويتضح هنا سيره نحو المجهول فهو ضائع في طريق لا يدري كيف خلاصه، ففي لغته جو من الحصار النفسي، يصور حالة تشتت وضياع، فقد تغير واقعه ولم يبق منه سوى حياة شائكة ، مجهولة ، و القصيدة تعبق بالمفردات المنتمية لحقل الغربة والضياع، وتشد قارئها إلى جو من الرومانسية الطاغية، بما فيها من ألفاظ مستمدة من الطبيعة وأحاسيس مرهفة تلامس الوجدان، وهي بذلك نموذج للرؤية الفكرية والفنية المتطورة، والجديدة في شعره، فهو بذلك يحاكي تجارب الشعراء العرب الرومانسيين، ويواصل فيقول **أنا أمشي والجموع من ورائي زاحفات في ابتهال وولاء ويقيني... فوق أسراب الطنون باحثاً عن فاتناتي : الجمال والخلود والحياة هل بلغتُ ما أردت ؟ لست أدري غير أني في طريقي يا رفيقي !"** .

ويواصل الشاعر سيره نحو المجهول ، وكأنه يبحث عن شيء ما مفقود، أو سلب منه عنوة، ولنا أن نؤول هذه الغربة على أنها غربة جماعية يعيشها الوطن بأسره، تغربت خلالها النفوس والأرواح، باحثة عن أمل ينعش أحزانها، فضياع الشاعر ناجم عن ضياع شعبه وسط الأشجان والمآسي، ففكره مغترب، وروحه تتأسى وكأنها مغلولة ترغب في فك قيودها، والخروج من الأسر الذي يحاصرها، والوحدة التي تخنقها وتريد الوصول إلى طريق آمن ، وكل الأسئلة التي تراوده ليس لها جواب إثر الجمود والسكون، ويأمل في النهاية أن يسترجع الإجابة المفقودة بعد نهاية هذا الطريق الشائك، والشاعر كمثقف من مثقفي الوطن مثله مثل الطبيب، والأستاذ، والأديب ، والمهندس، ... يعيش في صراع داخلي وفكري، و هو كذلك لأنه ببساطة الأكثر استيعابا لكل تغيير، وهو روح المجتمع ، ومنبره، والحامل للواء الذود عنه والباحث عن أمله المزدهر، لذلك يجعل من شعره متصارعا بهموم الوطن، ثم إن بثه للتجديد في هذا الشعر، يجعله يعزز مكانة الشعراء وأنهم لا يهابون المجازفة والمغامرة والبحث عن الأفضل.

ب- **<u>حقل الثورة والوطن</u>** : كان شعراء الجزائر قلبا واحدا صوب قضية وطنهم، واحتواء لثورتهم المجيدة، بحسّ صادق ورؤية عميقة ومؤثرة، وهذا ما أكسب شعرهم طابع التجديد الفكري والرؤية المتطورة، وإن كتب للشعر في المشرق أن يعرف شكلا فنيا جديدا في مبناه، فإنه في الجزائر، اتخذ من المضمون الجديد نقطة الأساس من أجل التغيير، فأخذ ينمو بفكره شيئا فشيئا بمنحى تصاعدي مفعم بأحاسيس الشاعر القائر، المتمرد، وقد تمكن "سعد الله" في قصيدة "طريقي" من تجسيد ظاهرة التجديد الشعري من مختلف جوانبها فجمع بين الشكل الجديد والرؤية المتجددة، وذلك حين جعل من ألفاظ القصيدة تجمع بين حقول مختلفة، فعلى الرغم من غربته وضياعه فإننا نجده يبحث عن عتق من قيود الضياع وذلك حين يبعث نفحات للأمل المشرق، ويسعى للتخلص من الأشجان، حيث يقول : **سوف تدري كيف مرقت شدوفي ... وظهرت كالأحاجي من كهوف ... عالمي المضغوط بالقيد الفسيح... عالم الإرهاب والرق الجريح ... يا رفيقي !" وصرخت في الجموع الذاهلات : حطموا القيد وغنوا للحياة وافتحوا نافذة الأفق الرجيبة واعشقوا الثور.... حياوات خصيبة بيد أني لم أجدهم في طريقي... يا رفيقي !** .

و يتحلى الشاعر بروح وطنية هي التي تحفزه على بث الأمل في الشعب الضائع الحائر، فتتصاعد مجموعة الألفاظ المتفائلة، (**حطموا القيد، غنوا، الحياة، نافذة، الأفق، الرحيبة، النور، خصيبة**..) في فضاء تعبيري تتماهى فيه ألوان

الوطنية المفعمة بذروة **الأمل والاطمئنان، والنفس الصوفي** ، فيتفتن الشاعر في رسم هذه التجربة بحسن صادق، ثم يواصل ليعمق من الإحساس الثوري وشحذ الهمم من أجل الثورة على الاستعمار فيقول : سوف تذري راهبات واد عبقر كيف عانقت شعاع المجد أخمز وسكبت الخمر بين العالمين حمر حب وانطلاق ويقين ومسحت أعين الفجر الوضيئة وشدوت للسور الوطنية أن هذا **هو ديني فاتبعوني أو دعوني في مروقي فقد اخترت طريقي ". يا رفيقي !** ومما لا شك فيه أن الشعر حين يمزج بين مشاعر الوطنية، وصدق الانفعال فإننا لا ننكر قيمته في التأثير وإصلاح الشعوب، وذلك بما يغرسه في نفوسهم من العواطف السامية، إذ يجعلهم يتمسكون بالحرية والكرامة ويستحثهم على النفور من الذل والاستعباد، ويحبب إليهم الثورة على الأعداء، فيتفنن الشاعر في رسم هذه التجربة بحسن صادق ونفس مؤججة.

ج- حقل النفس : ومن خلال ألفاظ القصيدة تتجلى خفايا النفس التي تصارع وتلور وتبعث عن الإيجابي كما في هذا المقطع الذي يقول فيه : **" ألمح الأطياف من حولي شوادي للرؤى الشكري، لآلاف العباد للربيع الحلو شوقاً للزهور للهوى الزاخر بالذكرى و أنسام العطور غير أني كلما حاولت وصلاً لم أجد قربي ظلاً غير أعقاب الشموع و غديرات الدموع "** و يكثر هنا من الحروف التي تدل على الجو النفسي السائد في المقطع؛ فيعتمد سعد الله على تألف الألفاظ، وتمازج الأصوات، التي تلائم التجربة النفسية مثل حرفي **السين والشين**، ومن المعروف أنهما عند علماء الأصوات صوتان يتلاءمان مع مشاعر **البوح والنجوى، وأنغام الأسى**، لكن الملاحظ أن الشاعر لم يدرجها في إطار وجدان باكي، بل تطورت الرؤية الفكرية للشاعر من النفس المتألمة، إلى نفس بدأت تقاوم في صمود وتبحث عن الأمل ، فوظيفة الأديب **"هي أن يهيء للألفاظ نظاما ونسقا وجوا يسمح لها بأن تشع أكثر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه وألا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذاتية وألا يقيم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده**. وإن يكن لابد منه في التعبير، يفهم الآخرون ما يريده, إن الحقول السابقة تكشف مميزات اللغة الشعرية في قصيدة **"طريقي"** والتي تعكس علاقة الشاعر ببيئته وعصره ، إذ تتجاوز كونها أداة للتعبير والتواصل، إلى كونها محاولة لبناء قصيدة شعرية لها تشكيل لغوي خاص ، ينقل من خلاله عمق التجربة .

2- تجديد الصورة في قصيدة طريقي :

من المؤكد أن الصورة في الشعر لم تخلق لذاتها، وإنما لتكون جزءا من التجربة، ولتكون جزءا من البنيان العضوي في القصيدة إلى جانب اللغة والموسيقى، والصورة الشعرية جزء حيوي في عملية الخلق الفني" وسعد الله بالرغم من طموحه التجديدي هذا، احتفظ بسمة من الوضوح والجلاء في صوره الشعرية، ولم يوغل في الرمزية التي عرف بها بعض المجددين في الشرق العربي والتي بلغت ذروتها عند أدونيس" ، ومن المظاهر الفنية للصورة الشعرية في قصيدة **"طريقي"**، رغبته في إبراز **صدق الإحساس والتعبير، والسباحة في عوالم الخيال، التي تؤجج مشاعر الثورة، وتترجم مكبوتات النفس**، وهو يجعلها مجموعة من الصور الجزئية في كل مقطع، جامعة بين صورتي **الثورة والنفس** ، وهي تتألف في سبيل نقل الصورة الكلية التي يريدها الشاعر وقد توزعت الصور عبر المقاطع وفق الآتي :

المقطع الأول : -**"طريقي كالحياة شائك الأهداف مجهول السمات "** : صورة تشبهية تدل على "النفس" المشتتة كونها لا تعرف مصيرها ولا أهدافها، **"عاصف التيار وحشي النضال"** : صورة إستعارية رمزية تدل على "الثورة" فطريقه في مرحلة هيجان ورياح عاتية وهو نضال ومقاومة مخيفة، **"صاحب الأنات عربيد الخيال"** : صورة إستعارية تدل على "النفس" المتألمة والشاكية . - **"كل ما فيه جراحات تسيل"** : صورة إستعارية تدل على "النفس" المتألمة والجريحة.

-"ظلام وشكاوي و وحول " : صورة إستعارية تدل على "النفس" الغارقة في الهموم. **"نترا أى كطيوف من حتوف "** : صورة تشبيهية تدل على "النفس" الضائعة. واعتمد الشاعر من خلال المقطع الأول، على الصورة إذ نجده أنتج مجموعة من الإيحاءات، ليضعنا في جو عام مرتبط بثقافته وإبداعه، فوظف الصورة البلاغية لكن في الوقت نفسه، ركب هذه الصور ليكون صورة جزئية مرتبطة بصورتي **"الثورة والنفس"**، ويدل على ما يجوب في أعماقه في ظل مخاض كبير في واقعه، فالبلاغة لم تعد تطبيقية ، بل تخطي سعد الله ذلك لتصبح بلاغته جزءا من تفكيره الشامل ولا فصل بين الشكل والمضمون، مما يدل على وعي متطور نسبي، ويضعنا الشاعر في جو التجديد منذ البداية ، فبعد كل صورة يغير في الدلالة دون الخروج عن الصورة الأساسية ليصل بنا في نهاية المقطع إلى ضياع النفس في خضم الثورة.

المقطع الثاني : **-" ألمح الأطياف من حولي شوادي"** : صورة استعارية تدل على "النفس" وتحول الرؤية الفكرية للشاعر من النفس المتألمة إلى نفس بدأت تقاوم في صمود وتبحث عن الأمل **-"للرؤى السكري، لآلاف العباد "** : تحول من التعبير بصيغة المفرد إلى الجمع ، وهي صورة تشبيهية تدل على "النفس" المشتتة و ما يعرفه الواقع من غيبوبة وتطلعات واهية وفيها التحام بالوطن. **- "للربيع، الحلو شوقا للزهور"** صورة استعارية تدل على "النفس" الباحثة عن البسمة والحرية، يحاول إبراز صورة الأمل الزاهر والإشراق في النفوس. **- "للهوى الزاخر بالذكرى وأنسام العطور"** : صورة استعارية تدل على "النفس" المتأقلة. **"لم أجد قربي ظلاً غير أعقاب الشموع"** : صورة استعارية تدل على النفس" الوحيدة المعزولة التي لم تجد سوى آثار خافتة للأمل. **"وغديرات الدموع"** : تراجع الشاعر من المقاومة والأمل إلى صورة تشبهية تدل على "النفس" المتألمة والحزينة والباكية بشدة.

-"تتوالى في طريقي يا رفيقي : صورة استعارتة تدل على **"النفس"** في قمة صراعها وتأزم أوضاعها. وارتكزت الصورة التي اعتمد عليها الشاعر في هذا المقطع؛ على **" النفس"**، ففي البداية بدا وكأنه يقترب تدريجيا باتجاه الأمل ثم ما إن يلتحم به حتى يرجع بنا إلى الخلف نحو الألم والانكسار والحزن الذي يمنعه من الفرح ويبعده عن التفاؤل، فيتراجع في نهاية المقطع مستخدما أدوات التعبير الدرامي وتنويع المشاهد، معتمدا على شعرية الأمام والخلف فالشاعر في حالة حركة وتطور باستمرار.

المقطع الثالث : **-"احتضنت الثور غصبا في المجاهل"** : صورة استعارية دالة على النفس" المتمسكة بالأمل رغم الظروف. **" وعبرت الليل نارا وشراك"** : صورة استعارية تشبيهية دالة على الثورة و النفس المواجهة للتحديات **-" وتصفحت الوجود"** : صورة استعارية مرتبطة بالنفس ودالة على الاستمرار في التحدي . **"فإذا هو إله وعبيد "** : صورة تشبيهية دالة على النفس بين القوة والسيطرة والضعف والعجز. **"وخضم من دماء وضفاف للعراك "** : صورتين تشبيهيتين دالتين على الثورة والعنف. "وسياط هاويات" : صورة استعارية تدل على الثورة ومظاهر العذاب والتنكيل. **-"وجسوم داميات"** : صورة استعارية تدل على الثورة ومظاهر العذاب والتقتيل. **" ناهدات في طريقي"** : صورة استعارية دالة على النفس اليائسة . و ينهي الشاعر المقطع الثاني بفعل يحمل دلالة النفس المتألمة، ليبدأ المقطع الجديد بفعل يدل على التمسك بالأمل ، وهو في صراع بين الصور، وفي جدل نفسي ثوري كبير، فحتّى نفسه في حالة ثورة و هيجان كما الواقع. المقطع الرابع : **-"أنا أمشي والجموع من ورائي زاحفات في ابتهال وولاء "** : صورة استعارية نفسية دالة على الخوف والانقياد.

-"يقيني فوق أسراب الظنون " صورتين استعاريتين تدلان على النفس المتحدية لكل الشكوك في ثقة وصمود . **-"باحثا عن فاتناتي** : الجمال والخلود والحياة " صور رمزية نفسية دالة على التمسك بالأمل والحياة الأفضل لبلوغ الحرية والمجد

والمقاومة من أجل البقاء. **"لست أدري غير أني في طريقي يا رفيقي "** : صورة رمزية دالة على المقاومة من أجل البقاء. ويواصل هنا في دوامة من الصراع الملازم له، في صور نفسية مشحونة بالصمود والتحدي ومتمسكة بالأمل المشرق .

المقطع الخامس : - **"كلما صحت هلموا "** : صورة رمزية دالة على التمسك بالثورة والمقاومة. **-غمغموا عني و زموا"** : صورة رمزية نفسية دالة التجاهل والضعف. **-" تداعوا كنعاج"** : صورة تشبهية نفسية دالة على الضعف - **"لمحت سرب ذئاب في فجاج "** صورة كنائية رمزية نفسية تدل على الغدر والمكر. - **" في وهاد من صديد وأتين"** صورة استعارية نفسية تدل على الألم..

- " ورياح الخزي تذروهم رمادا " : صورتين استعارتتين نفسيتين تدلان على الضعف و الانحطاط والاستسلام. **-" ومسوح العار تكسوهم حدادا** : صورتين استعارتتين نفسيتين تدلان على الخيبة والانهزام والفناء. - **" ليتهم قد واكبوني في طريقي يارفيقي "** : صورة رمزية دالة على الثورة والمقاومة والصمود. وتحيلنا الصورة في هذا المقطع أيضا إلى جمع الشاعر بين صورتي **الثورة والنفس.**

المقطع السادس : "سوف **تدري كيف مزقت سدوفي "** : صورة استعارية ثورية تدل على المقاومة والتصمود. **" وظهرت كالأحاجي من كهوف "** : صورة استعارية ثورية تدل على المقاومة والتحدي والرغبة في صنع الأمل - **"عالمي المضغوط بالقيد الكسيح "**صورة استعارية نفسية ثورية تدل على الصراع . - **"عالم الإرهاب والرق الجريح"** : صورة رمزية نفسية ثورية دالة على الظلم والطغيان وتحمل الآلام. **"حطموا القيد وغنوا للحياة "** : صورة نفسية ثورية دالة على التمسك بالأمل والمقاومة. **-"وافتحوا نافذة الأفق الرحيبة"** : صورة استعارية نفسية دالة على التفاؤل والأمل والبحث عن النصر. - **"واعشقوا النور حياوات خصيبة "** : صورة استعارية نفسية دالة على الأمل والتفاؤل . - **" بيد أني لم أجدهم في طريقي يا رفيقي "** : صورة رمزية نفسية دالة على الإحباط.

المقطع السابع : -**"سوف تدري راهبات واد عبقر"** : صورة رمزية نفسية دالة على الوحي الشعري الذي أعانه لمساندة هموم الوطن **" كيف عانقت شعاع المجد أحمر"** : صورتين استعارتتين ثوريتين تدلان على المقاومة والقوة.**" سكبت الخمر بين العالمين "** : صورة رمزية نفسية دالة على السعادة- **"خمر حب وانطلاق ويقين"** : صورة استعارية رمزية نفسية دالة على مشاعر المحبة والفرحة العارمة **" ومسحت أعين الفجر الوضية"** صورة رمزية نفسية دالة على الأمل المشرق. **"وشدوت لنسور الوطنية** أن هذا هو ديني" : صورة استعارية رمزية نفسية دالة على البقاء والاستمرار **"فاتبعوني أو دعوني في مروقي** فقد اخترت طريقي يا رفيقي **"**صورة رمزية ثورية دالة على الاستمرار في المقاومة والتحدي وعدم الرضوخ أو الذل أو الهوان ويضعنا الشاعر في جو المقاومة المستمرة، وينهي القصيدة بالتفاؤل والإصرار والتحدي والتمستك بالقرار، الذي بات مفروغا منه وهو الثورة الحتمية، كان يقاوم باستمرار وبلا حدود، بكل الوسائل المتاحة للشاعر الجزائري الحديث خلال هذه الفترة، فظل متمسكا برؤيته الشعرية وقالبها الفني، فبدا مفعم الأحاسيس اتجاه قضيته نفسيا ووجدانيا ثوريا حتى النخاع، وانتهى مختارا للثورة والمقاومة .

و يتضح لنا هنا تميز الشاعر من حيث البناء الفني المحكم للصورة وطول النفس فيها مما جعلها و أكثر تنوعا وحيوية وتقريبا للمعاني وهذا يدل تحكمه في اللغة، ومفرداتها، وإذا كان الموروث الفني والبلاغي يقيد الشعراء فإن التجديد الشعري يتيح المجال أمامهم للتعبير وفق حرية وتنويع على حد تعبير **"غاستون باشلار" "** من جهتنا نرى أن العادة هي نقيض الخيال المبدع، الصورة المعتادة تقتل القوة المخيلة، الصورة المطلع عليها في الكتب، الصورة المحروسة من قبل

الأساتذة تجمد الخيال، الصورة التي صيرت إلى شكلها هي مفهوم شعري يرتبط بصورة أخرى من الخارج كارتباط مفهوم بآخر، هذه الاتصالية للصور التي يعيرها أستاذ البلاغة اهتماما بالغاء ينقصها في غالب الأحيان هذا الاتصال العميق الذي لا يوفره إلا الخيال المادي والخيال الدينامي وحدهما "، فجعلنا الشاعر في جدل بين **النفس والثورة**، ومن هذا الجدل نستنتج الهم الأكبر الذي يشغل الشاعر وشعبه ووطنه، وكما أن النفس تظهر منفعلة ومحتدمة المشاعر و الانفعالات، فالثورة كذلك كانت وليدة هذه الانفعالات، وكلاهما يحتاج للآخر ودعمه ولتزداد الثورة قوة واشتعالا وانتشارا لابد لها أن تتفاعل مع النفس، فالعلاقة بينهما جدلية، حوارية، تفاعلية متوازية، تدل على المواكبة و السيرورة المتألفة بينهما، وهي رؤية فكرية جديدة تقر عنصر الشراكة والتفاعل القائم بين ثيمتي النفس والثورة، وهو تفاعل يبدأ من **الأنا الشاعرة** التي تتحول إلى **نحن** وهي صوت الوجدان والضمير الجمعي الجزائري المتأثر نفسيا والمنفعل ثوريا، وكلها تنقل صورة عن هم الوطن مما يجعلنا نتأكد، أن الشاعر كان يسير في تجديد وتطور فني تشكيلي مستمر على مستوى الشكل والمضمون معا، وهي من أبرز المظاهر التجديدية التي غذت **التشكيل التعبيري الجديد في الشعر الجزائري الحديث** .

3- التجديد الموسيقي في قصيدة طريقي :

يعتبر "علي عشري زايد" الموسيقى « **عنصر أساسي من عناصر الشعر، وأداة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته، وهي بالإضافة إلى هذا فارق جوهري من الفوارق التي تميز الشعر عن النثر وإن لم تكن هي الفارق الوحيد بينهما**»، ومنه أصبحت الموسيقى في الشعر العربي * وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء، وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه، ولهذا فهي من أقوى وسائل الإيحاء سلطانا على النفس وأعمقها تأثيرا فيها » لقد ظل الشعر الجزائري حبيس العمود الشعري التقليدي فترة من الزمن فحافظ على روحه وشكله وإيقاعه دون أن يتجرأ على كسر المألوف، لكن تضخم المؤثرات وانفتاح العلاقات والاحتكاك بالشعر المشرقي، وبزوغ جملة من البواعث مرتبطة بالتجديد والإبداع "ترتبط بحوادث التغيير الكبرى، ومنها الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى انقلاب عام، في الموازين والقوالب والأفكار، وفي العالم كله، ومنها نكبة فلسطين، بالإضافة إلى الحادث الوطني الكبير، وهو اندلاع الثورة التحريرية الشعراء ورغم عموديتهم الضاربة في الأعماق إلا أنهم مالوا إلى التنويع الموسيقي وكتبوا نماذج لا تبتعد في شكلها عن البناء الخليلي ولكنها تعتمد تأليفا خاصا وتشكيلا مغايرا يبعدهم عن الرتابة والملل.

ومن خلال **القصيدة الرائدة في الشعر الجزائري الحر** وهي قصيدة طريقي 1955 " **لأبي القاسم سعد الله** سنحاول تحليل التشكيلات الإيقاعية الجديدة ودلالتها الشعورية والمعنوية والفنية على القصيدة الجزائرية الحديثة، ثم سنحاول رصد التطورات الموسيقية التي عرفتها هذه القصيدة؛ لذلك نجد من القصيدة منظومة على بحر صاف وهو "الرمل" ، شكلها الشاعر في سبعة مقاطع ، ونجد تباينا لتوزيع الأسطر في كل مقطع، كما تنوعت تفعيلات الوزن بين (**فاعلاتن /0/0//0**) السالمة، و(**فعلاتن///0/0**) المخبونة، و(**فاعلات /0//0/**)المكفوفة، و(**فعلات///0/**) المشكولة، ولم يعته فيه على التدوير.

ومن خلال عملية إحصائية لتوزيع الوحدات الإيقاعية على مستوى الأسطر الشعرية المكونة لكل مقطع تحصل على المعطيات الفنية الرقمية الإيقاعية التالية : **المقطع الأول= 26وحدة إيقاعية**

المقطع الثاني-25 وحدة إيقاعية

المقطع الثالث=20وحدة إيقاعية

المقطع الرابع 24 وحدة إيقاعية

المقطع الخامس-24وحدة إيقاعية

المقطع السادس- 28وحدة إيقاعية

المقطع السابع = 26وحدة إيقاعية

ولنا المقطع الأول من القصيدة نموذج لذلك **"يا رفيقي /0//0/0 فاعلاتن**

لاتلمني في مروقي **/0/0//0/0/0/0 فاعلاتن فاعلاتن،** فقد اخترت طريقي **///0/0 ///0/0 فعلاتن فعلاتن** وطريقي كالحياة **///0/0/0/0/0 فعلاتن فاعلاتن** ،شانك الأهداف مجهول السمات **/0//0/0/0/0/0/0/0/0 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن،** عاصف التيار وحشي النضال **/0/0/0/0/0/0/0/0/0 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن،** صاحب الأثاث عربيد الخيال **/0//0/0/0/0/0/0/0/0 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن،** كل ما فيه جراحات تسيل **/0/0//0 ///0/0/0//0/0 فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن** وظلام وشكاوي و وخول **///0/0 ///0/0 ///0/0 فعلاتن فعلاتن فعلاتن،** تتراءى كطيوف **///0/0 ///0/0 فعلاتن فعلاتن،** في طريقي **/0//0/0 فاعلاتن** يا رفيقي **! /0//0/0 فاعلاتن"** ,

وتوضح لنا المعطيات السابقة، أن خط التطور الإيقاعي في القصيدة الزائدة **للشعر الحر في الجزائر**، متذبذب، يصعد ثم يتراجع ببطء ثم يعود إلى التصاعد، وذلك راجع إلى **تحولات الرؤية الفكرية، والحالات النفسية والمواقف الشعورية** أيضاوهو قيمة فنية مضافة، تدل على أن قصيدة **"طريقي"** ذات بنية إيقاعية تطورية متجددة ، خاضعة للتشكيل الفني الجديد باستمرار، كما أن المعطيات الإحصائية للوحدات الإيقاعية؛ مؤشر كذلك على أن الإيقاع أصبح عنصرا شريكا في العملية الإبداعية، وليس عنصرا دخيلا عليها، مما يقوي بنية التطور والتجديد الحاصل على مستوى القصيدة الحديثة في الجزائر، إضافة إلى أطروحة التفاعل والحوار والشراكة بين الشكل والمضمون في الشعر الجزائري الحديث، فبعد التحول الذي لاحظناه على مستوى الصورة الشعرية بالنسبة لقصيدة **"طريقي"**، فها نحن نعود مجددا لنقر بأن سمة التجديد ولدت في لحظة ولادة القصيدة ،مضمونا وشكلا، فالجميع (**اللغة+ الخيال+ الإيقاع)** ولدوا في وقت واحد معا ، وهي الخاصية الفنية البارزة على مستوى هذه القصيدة، باعتبارها تمثل بداية انطلاق **الاتجاه التجديدي الجديد، الشعر الحر**).

مما سبق نستنتج أن؛ **أبا القاسم سعد الله** يعتبر من رواد **التجديد**، وأحد أعلام الشعر الجزائري الحديث، الذي تأثر به كثير من الشعراء بعده، فكان مفتاحا لولوج شعراء الجزائر عالم التجديد الشعري. إن شاعرنا مجدد في التشكيل الفني لغة وخيالا وموسيقى، مما جعل قصيدة **"طريقي" لسعد الله قصيدة فنية** ، جمعت بين مظاهر **التجديد في الشعر العربي الحديث**، من غير تكلف أو تصنع ، مما يقوي بنية التطور والتجديد الحاصل على مستوى القصيدة الحديثة في الجزائر إضافة إلى أطروحة التفاعل والحوار والشراكة بين الشكل والمضمون، لأن سمة التجديد ولدت في لحظة ولادة القصيدة مضمونا وشكلا فالجميع (**اللغة+ الخيال+ الإيقاع)** ولدوا معا في وقت واحد، وهي الخاصية الفنية البارزة على مستوى هذه القصيدة، باعتبارها تمثل بداية انطلاق الاتجاه التجديدي الجديد أو ما يعرف بالشعر الحر بوجه خاص.